



جامعة المنصورة

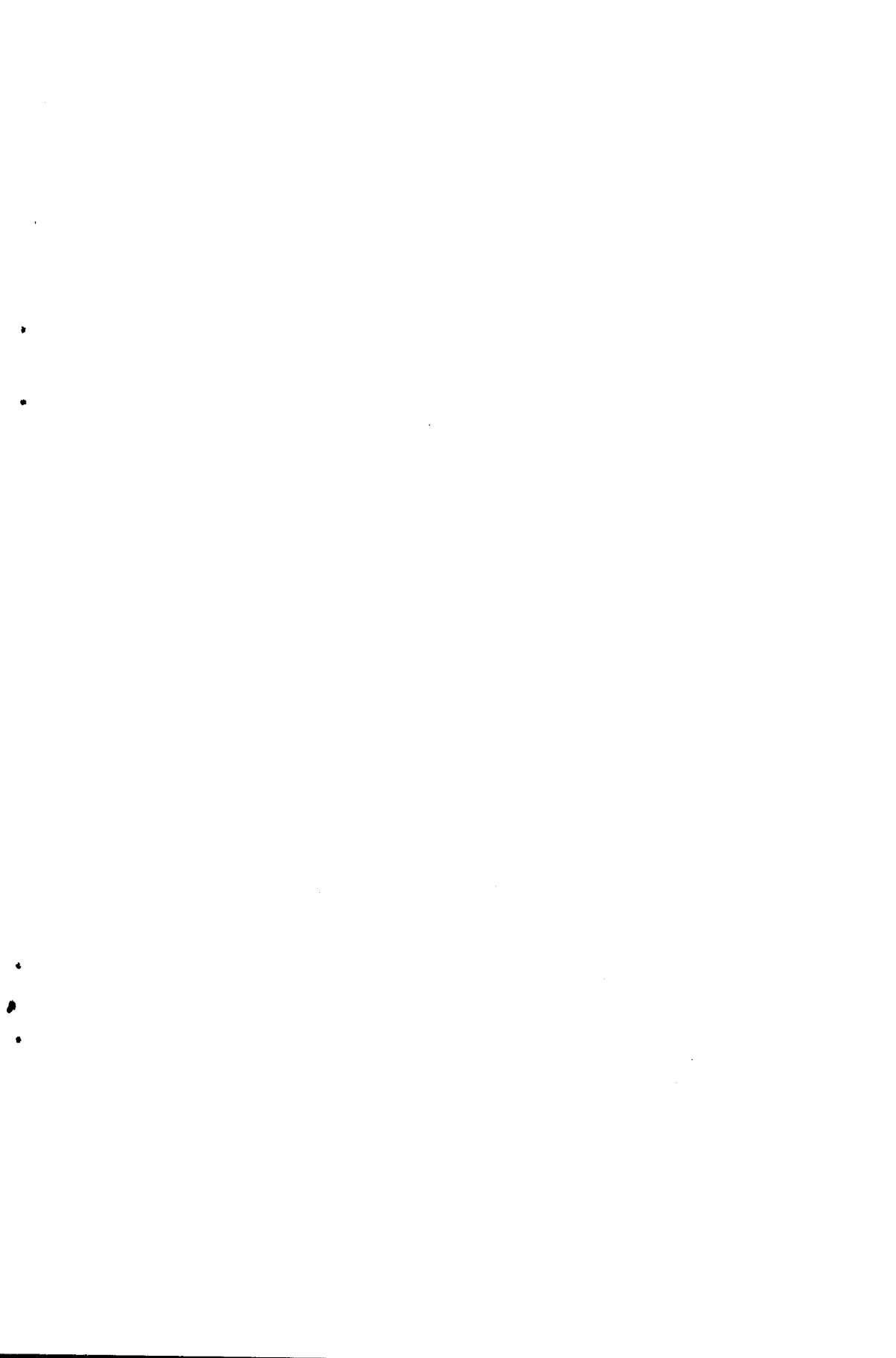
كلية الآداب

" مشروع القرش في الحجاز "

١٩٣٣ م - ١٩٣٨ م

د. على شلبي

أستاذ التاريخ الحديث المساعد



ارتبط الحجاز بمصر ارتباطا وثيقا لفترات تاريخية طويلة ، كان لمصر خلالها نوع من السيادة عليه ، فالحجاز يمثل منطقة حيوية لمصر من الناحية العسكرية والاستراتيجية ، هذا بالإضافة الى أن مصر كانت مركزا مهما لقوافل الحج التي كانت تفر إليها من بلاد المغرب العربي ومن أواسط افريقيا ، ومن ثم كانت تخرج الى الحجاز في حراسة الحكومة القائمة في مصر . كما كانت مصر أيضا تضم الكثير من الأوقاف المحبوسة على فقراء مكة المكرمة والمدينة المنورة وعلى الحرمين الشريفين . ولذلك فتبعية الحجاز لمصر أو سيادة مصر على الحجاز بعيدة كل البعد عن أن تكون نوعا من السيطرة المفروضة ، ثم ان الدولة القائمة في مصر كانت حريصة أشد الحرص على هذه السيادة حتى يدخل تحت نفوذها الحرمين الشريفين فتكسب بذلك مكانة خاصة في نظر العالم الاسلامي ، ولهذا الأسباب فان الحجاز لا يرتبط بدولة معينة في مصر ، انما هو يرتبط بمصر ذاتها بصرف النظر عن الحكومة أو الدولة القائمة فيها ، وعلى ذلك يمكن القول أن الحجاز كان يتبع مصر تبعية تلقائية (١) .

ولم يقتصر ارتباط الحجاز بمصر على هذه النواحي ، وانما تعداها الى الارتباط الثقافي والفكري ، فما كان يحدث في مصر يتردد صدها في الحجاز ، حتى أن التيارات السياسية المختلفة التي شهدتها مصر في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، توزع حولها الشباب من متقفي الحجاز ، فانقسموا بين مؤيدين لحزب الوفد وآخرين للأحرار الدستوريين وغيرهما (٢) . وقد لعبت مصر دور الريادة في ميدان التعليم والثقافة والتطور الفكري والسياسي في المنطقة العربية ، وكان تأثيرها على الحجاز كبيرا إذ أن الارتباط بينهما وثيق .

(١) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، القاهرة ، مكتبة سبيد رافت ، ١٩٧٧ ق ، ص ١٢٥ .

(٢) لقاء مع الأستاذ محمد علي مغربي — أحد أعلام الحجاز وهو من الذين عاشوا تلك الفترة بمكتبته بجدة بتاريخ ٢٩

وانطلاقاً من هذه الريادة الثقافية والفكرية ، كان الحجاز على قدر موقعة الثقافي — يتأثر تأثيراً مباشراً بما كان يدور في مصر من تيارات أدبية واتجاهات اقتصادية ، حتى أن من تهيأت لهم فرص التعليم في مراحلهم الأولى من شباب الحجاز كانوا يتلقون الانتاج الفكرى لمثقفى مصر — الذى تحمله لهم الصحف والمجلات الأدبية والثقافية المختلفة — بشيء من الاعزاز والتقدير ، وكانت تدور حوله المناقشات فيما بينهم باعتباره النافذة الثقافية الوحيدة (١) .

وليس هناك ما هو أقوى من ارتباط مسلمى العالم أجمع ارتباط روحيا بالحجاز أرضه ومقدساته حيث يضم بين جنبايه الحرمين الشريفين ، والمسلمون المصريون فى طليعة من يقدرّون هذه الأرض الطاهرة ويتمنى الكثيرون منهم أن توارى أجسادهم فى ترابها .

ولكل هذا ، فان لمصر ولكل ما يدور على أرضها من أحداث وما يعتلج فى أذهان مفكرىها وأدبائها وساستها وعلمائها من أفكار ومبادئ وتيارات سياسية واقتصادية مكانة خاصة لدى أهل الحجاز ويجد منهم آذاناً صاغية وعقولاً واعية مشرّبة لكل ما يجرى فى مصر . فكل نشاط شهدته مصر ، كان مثقفوا الحجاز يتلقونه ، يقرءون عنه ، يدرسونه ، يناقشونه ، يتفقون ويختلفون حوله ، يرى بعضهم أنه يمكن الأخذ به أو ببعضه لينفذ مثله فى الحجاز الفقير المحتاج لكل نهضة وكل نشاط وكل تقدم فى أى مجال من المجالات .

وعلى سبيل المثال ، فعندما طرح أحمد حسين فكرته عن مشروع القرش فى مصر ، وهو مشروع قومى أراد به أن يبرز أركان المجتمع المصرى من أقصاه الى أقصاه ، كما استهدف من ورائه إيجاد ركائز وطنية فى مجال الصناعة تحل مع الزمن محل الركائز الأجنبية المسيطرة على الاقتصاد المصرى ، كان لذلك المشروع رد فعله الإيجابى فى كثير من العول العربية كان

(١) لقاء مع الأستاذ عزيز ضياء — من كبار الكتاب — نشره بجده بتاريخ ١٥ يناير ١٩٨٧ م .

الحجاز من بينها (١) .

وحلى أثر النجاح الذى حققه المشروع فى مصر فقد سرت فكرته بين الدول العربية ، فقام الشباب فى العراق بمشروع « الفلس » ، وفى السودان قام مشروع القرش هناك لإنشاء الملاجىء والمستشفيات ، كما انتقلت الفكرة الى بلاد الحجاز فأيقظت حيوية الشباب هناك ففكروا فى مشروع خيرى يخدمون به بلادهم فقررروا القيام بمشروع القرش على المنوال الذى قام فى مصر (٢) .

كان الحجاز فى الثلاثينات من القرن العشرين قد سار خطواته الأولى فى ميدان التعليم الحديث ، حيث أفتتحت بعض المدارس الحكومية ، الى جانب ماكان قائما منها من المدارس الأهلية ، وبدأت البلاد تشهد عددا من خريجي المدارس الابتدائية الذين لم يكن الطريق أمامهم ممهدا لاستكمال دراستهم الثانوية ، فلم يكن أمامهم سوى الالتحاق بالوظائف الصغيرة فى دواوين الدولة . وفى ذلك الوقت طرحت فكرة مشروع القرش فى مصر فتتفها الشباب فى الحجاز ودرسوها ، واتسعا ضرورة الدعاية لتنفيذها فى بلادهم ، وكانت تفاصيل الفكرة قد وصلت اليهم عن طريق الصحف والمجلات المصرية التى كانت تصل الى الحجاز فى أوقات متفرقة (٣) .

تصدى للقيام بطرح الفكرة على جماهير الحجاز الشاب عزيز ضياء ، فأرسل بمقال له من المدينة المنورة الى جريدة « صوت الحجاز » التى كانت تصدر فى مكة المكرمة بعنوان : « ماذا يجب علينا نحو الناشئة » تحدث فيه عن مشكلة الشباب الذين حصلوا على

(١) عن شلبى : مصر الفتاة ودورها فى السياسة المصرية ١٩٣٣ - ١٩٤١ م . القاهرة ، دار الكتاب الجامعى .

١٩٨٢ . عن مشروع القرش فى مصر راجع من ص ٥٨ الى ص ٦٨ .

(٢) ارجع السابق ، ص ٦٨ .

(٣) لقاء مع الأستاذ عزيز ضياء بمنزله بجدة بتاريخ ١٥ يناير ١٩٨٧ م .

الشهادة الابتدائية — وكان هو واحداً منهم — وفي انتظار الوظائف الحكومية ، وعبر الكاتب عن رفضه لهذه الوظائف الصغرى وإنما طالب الشباب بالنظر في المستقبل الأفضل بعيداً عن هذه الوظائف الصغيرة التى تعلمهم التواكل والكسل والحمول والاعتماد على الغير ، ووجه اليهم الدعوة إلى أن يشرعوا منذ العام القادم ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م فى تأسيس نظام لمشروع القرش الذى « عرفنا فائدته فى جارتنا مصر » ، ربما كان فيما يحققه للبلاد نفع هؤلاء الشبان وغيرهم (١) .

وعلى الرغم من أن فكرة المشروع مستوحاه من التجربة التى نادى بها أحمد حسين وطبقها فى مصر ، وقرأ عنها نفر من شباب الحجاز وبلورها كاتب المقال السابق ، إلا أنه هو نفسه عاد فنفى أن فكرة المشروع قد اقتبسها من مصر أو غيرها ، فكتب بياناً تفصيلياً عن المشروع بتكليف من مجلس إدارة جمعية القرش بعد مرور مايقرب من عامين على مقدّمه الأول فقال « ليس هذا المشروع جديداً فى الواقع ، وليست لندن ولا مصر مبتكرتيه كما يزعم بعض الناس وإنما هو مشروع قديم ينفذه الناس عندنا » (٢) .

ولعل الذى دفع عزيز ضياء الى محاولة تأصيل الفكرة بأنها فكرة قديمة يمارسها أهل الحجاز كل يوم فى تعاونهم وتعاطف القادرين منهم مع غير القادرين ، كانت محاولة من جانبه للرد على من كانوا يعارضون الفكرة ، ويرون أن شباب الحجاز لا يصلحون لشيء حتى أن أحدهم قال « ان الحجازيين عالة على الغير حتى فى مشروعاتهم » . وقد إنبرى نفر من مؤيدى المشروع يدافعون عنه وعن فكرته ، فقال أحدهم « والفكرة هذه وإن كانت مصرية . فالمصريون اخواننا نجتمعنا واياهم قرابة الرحم ورابطة اللغة والدين ، ولأمانع من أخذها منهم والعمل بها لمصلحة بلادنا..... ونحن اذا نقلنا عن المصريين هذه الفكرة ، فبإل نقل أننا نقلنا أمراً مرذولاً..... اننا قلدناهم فى فضيلة هى بلا شك من أسمى الفضائل

(١) صوت الحجاز ع ٥٤ بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٣٣ م .

(٢) نص . ع ٢٣٥ بتاريخ أول ديسمبر ١٩٣٦ ، ويشير بذلك الى عادة فى الحجاز تعنى تعاون السكان وتضامهم مع غفيرة من أهل حى . وإن كانت هذه العادة ليست قاصرة على الحجاز دون غيره من البلدان وشبان بين المفكرين .

.... كما أن الفكرة الحسنة هي ملك العالم الانساني . (١)

وعلى أية حال ، ومهما كان الموقف داخل الحجاز وبين شبابه من المشروع وفكرته ، فان الفكرة مأخوذة عن مصر ، كما يؤكد ذلك الذى طرح الفكرة فى الحجاز والذى حاول نفيها أيضا . (٢) وكذلك من بعض الذين عاصروا المشروع فى مراحل المختلفة ، حتى قال أحدهم : « مشروع القرش عندنا تقليد لمشروع القرش فى مصر » (٣) .

واستهدف أصحاب فكرة المشروع ومؤيدوه من ورائه تحقيق الكثير والكثير ، مما يوضح الى أى مدى كان الحجاز فى حاجة الى من ينهض بأعبائه الثقالة فى كل مجال من مجالات الحياة ، سواء كانت تعليمية أو ثقافية أو اقتصادية أو حتى مهنية . وقد بلور عزيز ضياء رأيه فى أن يبدأ المشروع فى الحجاز واقترح كل الخطوات التنفيذية التى يجب اتخاذها حتى يحصل المشروع على الشرعية المطلوبة ، ومن ثم يبدأ تنفيذ المشروع على أن تخصص حصيلة الأموال التى يتم جمعها لتأسيس مدرسة صناعية فى الحجاز تعلم الشباب عددا من الحرف والصناعات الصغيرة التى تحتاج اليها البلاد . مثل الميكانيكا والتجارة وصناعة الصابون والأحذية ودباغة الجلود وصناعة الجوارب وبعض أصناف المواد الغذائية . (٤) على أن يستقدم لهذه المدرسة المدرسون المتخصصون فى كل حرفة من الحرف التى أشار اليها ، وأن يتم تعليم الشباب فى خلال عام واحد ، والكاتب يرى أنه « بهذه الوسيلة وحدها نضمن للناشئة مستقبلا زاهرا مجيدا ، كما نكون قد خطونا فى الصناعة خطوة كبيرة للأمام » (٥) ولعل ذلك كان محاولة لادخال هذه المهن اليدوية الى مجتمع بدوى أحد سماته تحقير شأن

(١) صوت الحجاز ع ٥٨ بتاريخ ٢٢ مايو ١٩٣٣ م .

(٢) لقاء مع الأستاذ عزيز ضياء بمنزله بجدة بتاريخ ٢٨ يناير ١٩٨٧ م . . .

(٣) لقاء مع الأستاذ محمد على مغرى بمكتبه بجدة بتاريخ ٢٩ شهر ١٢٨٧ م .

(٤) صوت الحجاز ع ٥٤ بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٣٣ م .

(٥) نفس المكان .

هذه المهنة خاصة والعمل اليدوى عامة ، فاذا حدث ماأراداه الكاتب وتم ذلك التحول شكل نقلة حضارية للبلاد .

بينما رأى فريق آخر من شباب البلاد أن تخصص حصيلة المشروع لاعانة مدارس الفلاح الأهلية — التى كانت تعد نواة التعليم فى جده ومكة والتى أشرف نشاطها فى هذا الميدان على التوقف ، وذلك لما أصاب تجارة مؤسسيها وراعيها محمد على زينل من كساد فعجز عن الاستمرار فى الصرف عليها — فطالب أحد هؤلاء الشبان بأن يبدأ المشروع « لاعانة العلم والتعليم ولاانتشال مدارس الفلاح من الهوة التى تدهورت اليها » (١) . وبالفعل لقيت تلك الدعوة قبولا لدى بعض الأفراد فتبرعوا بقروشهم لمدرستى الفلاح بمكة وجده . (٢)

بينما رأى البعض ألا تتولى مدارس الفلاح بنفسها أمر هذا المشروع ، ولكنه يرى أن يخصص قسم من وارداته لها ولأمثالها من المدارس الأهلية التى تعاني من عجز شديد فى وارداتها المالية (٣) .

وشغل عدد لا بأس به من شباب البلاد أنفسهم فيما يمكن أن يحققه المشروع ، فرأى البعض أنه سيتم افتتاح مصنع للصابون ، وآخرون رأوا انشاء مصنع للغزل والنسيج ، ورأى فريق ثالث أن تؤلف « شركة زراعية تساهم بقروشنا فى ترقية الزراعة وتسلف الزراع وتأخذ ييدهم وتنقذهم من بنوك التسليف المسترة ، تلك البنوك الفردية التى لاتخشى الله ولاتنقيه » (٤) ولعل ذلك الفريق يشير الى أن الزراع كانوا يقترضون الأموال بانربا لتساعدهم فى النهوض بالزراعة ومتطلباتها .

(١) صوت الحجاز ع ٥٦ بتاريخ ٨ مايو ١٩٣٣ م .

(٢) نفسه ع ٥٧ بتاريخ ١٥ مايو ١٩٣٣ م .

(٣) نفسه ع ٦١ بتاريخ ١٢ يونيو ١٩٣٣ م .

(٤) نفسه ع ٢١٩ بتاريخ ١١ أغسطس ١٩٣٦ م .

أما نظام جمعية القرش فقد نص في مادته الرابعة على أن « غرض الجمعية السعى لتحقيق الاستقلال الاقتصادى فى البلاد العربية السعودية ، بإيجاد المنشآت الصناعية والزراعية الحديثة ، وتشجيع القائمين بها ، وفتح سبل العمل أمام أبناء البلاد ^(١) . وتعددت الأهداف التى سيحققها المشروع للبلاد ، وتنوعت المطالب وتزايدت ، حتى طرح الأمر كاستفتاء على كبار رجال الدولة فيما يمكن انجازه من ثمره هذا المشروع . فرأى بعضهم انشاء مدبغة لدبغ الجلود للاستهلاك اخلى والفائض للتصدير ^(٢) . ورأى آخرون مشروعات أخرى كتنمية الثور واقامة معرض لها فى « منى » حتى يحملها الحجيج كهدايا الى بلادهم من الأراضى المقدسة ^(٣) . أو أن تقوم جمعية القرش بعمل مصنع لنسيج المشال « العباءات » التى تستخدم كثيرا فى البلاد ^(٤) . أو تطريز المنسوجات ^(٥) .

ومن الواضح أن الحجاز كان فى حاجة ماسة الى كل المشروعات والمساهمات التى تنهض به فى كافة انجالات ، وهو الأمر الذى يعجز عن تحقيقه مشروع متواضع مثل مشروع القرش خاصة وأنه كان قد طرح فى مصر وفى غيرها من البلاد العربية ، إما فى غضون الأزمة الاقتصادية العالمية ، أو ما عرف بالكساد الكبير الذى ضرب أطنابه فى أرجاء العالم المختلفة واختلف وقع تأثيره على الدول الصناعية عنه فى الدول الزراعية طبقا للتفاوت الهائل بين كليهما فى العملية الانتاجية وما يخطط بها من مؤثرات . وإما أن المشروع مثلا طرح فى بلاد الحجاز والعالم يحاول التقاط أنفاسه بعد أن نجحت بعض الدول الصناعية أن تخرج من رقبة هذا الكساد الكبير الى حد ما وبالتدرج ، فما بالننا والحجاز أصلا من البلاد الفقيرة شديدة العوز والحاجة ، حتى أن مجرد جمع القروش من المواطنين كان أمرا عزيز

(١) أم القرى ع ٦٠٥ بتاريخ ١٠ يوليو ١٩٣٦ م ، حيث نشرت مواد « نظام جمعية القرش للمشاريع الاقتصادية » وعددها ٥٢ مادة .

(٢) صوت الحجاز ع ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧ .

(٣ ، ٤ ، ٥) صوت الحجاز ع ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧ م .

المثال صعب التحقيق إلى حد كبير ، إذا الحجاز بطبيعته ضعيف الموارد قليل الانتاج ^(١) .

وبعد أن طرحت الفكرة على صفحات الصحف ، كان ولابد أن تستمر الدعوة لها لشرحها وبيان أهدافها ، إذ أن الدعوة في العصر الحديث أصبحت لازمة لكل شيء وتقدمه بل وحياته أيضا ، والدعوة في صميمها ترمى إلى إقناع الناس إقناعا متكررا ميزة ومنافع ماتدعو إليه حتى يرسخ ذلك الفهم في نفوسهم ، وحتى يصل إلى موطن العقيدة والايان ^(٢) .

واصل مثقفوا الحجاز كتاباتهم عن المشروع موضحين فكرته وما يمكن أن يحققه للبلاد ، وهم مدركون أهمية ذلك وضرورته ، حتى قال أحدهم « لابد لنا أن نتكلم كثيرا ونكتب طويلا باسنياب مقنع حتى نستطيع أن نوفق للنهوض بروح الجمهور حول أي مشروع حيوي نعترم القيام به تمهيدا للعمل ، ولانيأس من الكلام والكتابة حول أي مشروع ينبغي ظيوره » ^(٣) . ويبدو أن الوضع الثقافي والتعليمي للحجاز — في ذلك الوقت — كان سببا جوهريا في عدم الاستجابة لأي مشروع من المشروعات النافعة ، أو لأية فكرة جديدة تطرق الآذان والأفهام لأول مرة .

وعلى الرغم من المقالات التي كتبت والآراء التي طرحت حول المشروع ، فإن البلاد لم تشهد خطوة للأمام على طريق تنفيذه ، فكتب أحد المتحمسين للمشروع مقالا هاجم فيه قاده البلاد لعدم مواكبتهم لهذه النهضة فقال « أما قادتنا وكبراؤنا وأغنيائنا والمتسيطرون على أمورنا فأنهم لم يحركوا ساكنا ، ولم ينبسوا ببنت شفه ، وأظن أن ذلك لم يخطر ببالهم على بال » ^(٤) .

(١) صوت حجاز ع ٢٢ بتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٣٢ م .

(٢) نفسه ع ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧ م .

(٣) نفسه ع ١٣٨ بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٣٤ م .

(٤) محمد سعيد عبد المقصود ، مقال بعنوان « بنت الأصوات قبل قادتنا سامعون » . صوت الحجاز ع ٦١ بتاريخ

واستمر الهجوم على هؤلاء القادة والأغنياء لأنهم لم يمدوا أيديهم للشباب حتى يدخل المشروع في طور التنفيذ (١) .

ويبدو أن الفكرة لم تختمر بسرعة في أذهان هؤلاء الكبار والأعيان ولم يتحمسوا لها بسرعة ، حتى أنه مضى وقت طويل منذ أن طرحت الفكرة لأول مرة على صفحات صوت الحجاز في ابريل عام ١٩٣٣ م وحتى كانت الخطوة التنفيذية الأولى في ديسمبر عام ١٩٣٥ ، والحديث عن المشروع يظهر حيناً ويختفي أحياناً على صفحات الصحف ، وهي فترة طويلة أصابت الشباب من أنصار المشروع بشيء من الضيق المشوب باليأس ، حتى قال أحدهم « مضت مدة غير وجيزة وأدبائنا يكتبون حول فكرة المشروع وضرورة الاعتناء بأمرها ، ولكن حتى الآن والفكرة لاتزال في مهيد القول بعد ، والكتاب في جانب ، والأمة في جانب آخر ، كأن لم يكن هناك سامع أو مجيب » (٢) .

وعلى أية حال ، وبعد هذه المدة الطويلة ، وجدت الفكرة من يتحمس لها ويخطو أول خطواتها . حيث اختتمت فكرة المشروع في أذهان نادر من منتقلى الحجاز وهم محمد سعيد عبد المقصود خوجة وعبد الله المزروع وأحمد السبعي وهاشم يوسف الزواوي ، فتقدموا بطلب الى الحكومة لتأذن لهم بتأسيس جمعية القرش التي ستتولى تنفيذ المشروع (٣) . ووافقت الحكومة على الطلب بشرط أن تخصص حصيلته لجمعية الطيران والاسعاف (٤) . ثم أعيد عرض الموضوع الى سمو النائب العام للملك في الحجاز ، بعد أن أوضح مقدموه

(١) نفسه ع ٦٢ بتاريخ ٢٠ يونيو ١٩٣٣ م .

(٢) نفسه ع ١٣٧ بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٣٤ م .

(٣) نفسه ع ١٨٥ بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٣٥ م .

(٤) كان مطروحا في ذلك الوقت جمع لبرعات لجمعيةين متكورتين . حيث قد تم تأسيسهما قبل فترة وجيزة في

الحجاز . لقاء مع الأستاذ هاشم يوسف زواوي - عضو مجلس الشورى - بمنزله بجدة بتاريخ ٢ فبراير ١٩٨٧ م .

لسموه أن الجمعيتين السابقتين لهما هيئاتهما المستقلة وتستطيع تحقيق أغراضهما ، أما مشروع القرش فله هدف آخر ، وجاءت الموافقة على انشاء الجمعية وضرورة تقديم قانونها الأساسي « النظام » في أسرع وقت الى الحكومة . وعينت الحكومة عبد الله المحمد الفضل نائب رئيس مجلس الشورى ووكيل النائب العام رئيسا لجمعية القرش (١) .

وعلى طريق وضع القانون الأساسي للجمعية ، استعان هؤلاء الأربعة المشار اليهم بعدد من الشخصيات المهمة في الحجاز في ذلك الوقت (٢) ، في وضع مواد النظام التي بلغت ٥٢ مادة ضمنها ثمانية فصول حددت بوضوح كل النقاط حول أهداف الجمعية ونشاطها وطريقة العمل التي يمكن السير بموجبها ، لتنفيذ المشروع ، وسُميت الجمعية « جمعية القرش في البلاد العربية السعودية » (٣) .

ومما تجدر الإشارة اليه — كما ذكرت صوت الحجاز — « أن أعضاء لجنة وضع النظام كانوا قد طلبوا الى جمعية القرش في مصر أن توافيهم بما يديرهم في المشروع ، فبعثت على الفور صورة نظامها الداخلي مع أشياء كثيرة مما يتعلق بالمشروع من نماذج وعلامات وطوابع وشارات وشهادات الشيء الكثير » (٤) . لكن أحد أعضاء اللجنة يؤكد أنهم لم يتصلوا بجمعية القرش في مصر ، وإنما هم فقط قرءوا عن المشروع وتنظيماته في الصحف والمجلات

(١) نفس اللقاء السابق .

(٢) كان هؤلاء هم كل من : محمد سرور الصبان ، محمد شفيق ، عبد يوهب آشي ، محمد حسن فقي . وغير

ضياء . محمد سعيد العامودي . عبد السلام عمر ، صبحي الأحمي ، عبد الله عثمان ، حمزة عجاج ، ومحمد أمين بن

عقيل . أنظر صوت الحجاز ع ١٨٥ بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٣٥ م .

(٣) نشرت جريدة أم القرى مواد هذا النظام في أعدادها الثلاثة أرقام ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ . بتاريخ ١٠ ، ١٧ ، ٢٤

يوليو ١٩٣٦ م .

(٤) صوت الحجاز ع ١٨٥ بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٣٥ م .

المصرية (١) . وعلى أية حال ، فإن التشابه كبير بين مواد النظامين ولابد وأن أعضاء اللجنة استعانوا بما نشر في الدوريات المصرية .

ومهما يكن من أمر ، فإن النظام بعد أن تم وضعه قدمته اللجنة الى الحكومة التي أحالته الى مجلس الشورى لدراسته والموافق عليه ، ووافق عليه المجلس بعد أن أدخل عدة تعديلات على بعض مواده (٢) . ومن ثم صدر الأمر الملكي بالموافقته على نظام الجمعية (٣) . وعلى الفور عقدت جماعة المؤسسين أول اجتماع لها للنظر في أمر تكوين الجمعية العمومية للمشروع ، ودعوة ما لا يقل عن مائتي شخص يمثلون كافة فئات المجتمع في مكة لينتخبوا من بينهم أربعة وعشرين عضوا يشكلون مع جماعة المؤسسين الجمعية العمومية للمشروع التي سيتولى رئاستها نائب رئيس مجلس الشورى (٤) .

وما أن حصل القائمون على المشروع على ما يؤكد شرعية وجوده ، حتى انطلقت الدعوة له من عندلها . بعد أن كانت قد فترت حرارتها الى حين — فامتلات أعسدة الصحف بالمقالات ، والنداءات والتحقيقات الصحفية التي تحاول كلها بيان أهمية المشروع ومحاولة لم شمل الجماهير حوله . إذ رأى كتاب هذه المقالات أن الوقت قد حان ليبرهن الشعب الحجازي على مدى حيويته ، ومدى تفانيه في حب وطنه والعمل من أجله ، وأن واجبه هم هو الدعوة بكل ما يمكن من أساليب لنجاح المشروع الذي يؤدي الى الاهتمام بالأوضاع الاقتصادية للبلاد « التي يجب أن توليها الأمة عنايتها الكاملة ليتمكن لها الاستغناء عن الحاجات الكثيرة الدائمة الى الغير » (٥) . فالبلاد في أشد الحاجة الى انشاء صرح

(١) لقاء مع الأستاذ هاشم زواوي بمقره بتاريخ ٢ فبراير ١٩٨٧ م .

(٢) صوت الحجاز ع ٢٠٦ بتاريخ ١٢ مايو ١٩٣٦ م .

(٣) نفسه ع ٢٠٩ بتاريخ ٢ يونيو ١٩٣٦ م ، أم القرى ع ٦٠٤ بتاريخ ٣ يونيو ١٩٣٦ م .

(٤) نفسه ع ٢١٥ بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٣٦ م .

(٥) نفسه ع ٢١٧ بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٣٦ م .

الاستقلال الاقتصادى ، والى إيجاد طرق تعمل فيها الأيدى العاملة وتستثمرها لمصلحتها ومصلحة الوطن معا ، ومشروع القرش من المشروعات التى تسعى لتحقيق هذه الغايات ، فعلى الشعب تأييده وتعضيده ، وعلى المثقفين من أبناء هذه البلاد بث فكرته فى المواطنين وحثهم عليها كل فى موقعه (١) .

وأصدرت اللجنة التأسيسية نداء عاما الى المواطنين تحثهم على تأييد المشروع جاء فيه « أيها الوطنى الغيور ، هذا هو مشروع القرش ، هذه هى النواة الأولى لحياة بلادك العزيزة ، وهذا هو الأساس العظيم الذى سيشاد عليه صرح استقلالها الاقتصادى والعمرانى » (٢) . كما طالبت المواطنين أيضا أن يفكروا فى اختيار أعضاء الجمعية العمومية الذين سيتولون القيام بالمشروع (٣) . ومن ثم وجهت اللجنة التأسيسية الدعوة لعدد من الشخصيات تم اختيارهم لحضور اجتماع يعقد فى الخامس من أغسطس ١٩٣٦ ، لانتخاب ستة وعشرين عضوا من بينهم يمثلون مع جماعة المؤسسين (٤) . الجمعية العمومية ، وتم بذلك وضع اللجنة الأولى فى الهيكل التنظيمى للجمعية (٥) .

(١) أم القرى ع ٦٠٦ بتاريخ ١٧ يوليو ١٩٣٦ .

(٢) صوت الحجاز ع ٢١٨ بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٣٦ .

(٣) نفس المكان .

(٤) استبعد - عبد الله عثمان عند نشر أسماء جماعة المؤسسين ، ويبدو أنه شاركهم فى وضع النظام فقط ، أم القرى

ع ٦٠٩ بتاريخ ٧ أغسطس ١٩٣٦ .

(٥) كان هؤلاء الأعضاء هم طبقا لعدد الأصوات التى حصلوا عليها كل من : عمر صبرى ، عبد الرؤوف الصبان ،

حمزة شحاتة . جميل داود ، ابراهيم نورى ، حامد كعكى ، أحمد قنديل ، محمد عى مفتاح . عمر مهدي ، عبد الله

فدا ، عبد اخى قزاز ، طاهر حبشى ، محمود شلهوب ، محمد على رضا ، عبد الله خوجه ، عبد القادر أبو الخير ،

حسن كبرى ، جميل سجينى ، عبد الفتاح فدا ، عبد الرحمن مظهر ، عطا الياس ، حمزة مرزوقى ، محمود قطان ، ابراهيم

فلالى ، حسين سرحان ومحمد صادق . أم القرى ع ٦٠٩ بتاريخ ٧ أغسطس ١٩٣٦ .

وفي السابع والعشرين من أغسطس من نفس العام عقدت الجمعية العمومية اجتماعاً لانتخاب ستة عشر عضواً من بين أعضائها يشكلون مجلس إدارة الجمعية ^(١) . وعلى ذلك فقد أصبح هذا المجلس هو المسئول عن تنفيذ المشروع ، وعن تحقيق الغايات التي يرمى إليها ^(٢) . وفي الرابع والعشرين من سبتمبر عقد مجلس إدارة الجمعية اجتماعاً في إدارة جريدة صوت الحجاز — اذ لم يكن قد تهيأ للجمعية مكان مستقل بعد — وذلك لانتخاب الهيئة الادارية للجمعية ، وقد تم انتخاب محمد سرور الضبان رئيساً للمجلس الادارة ، وصبحى الأعشى نائباً للرئيس ، وأحمد السباعي سكرتيراً ، وعمر مهدي محاسباً ومحمد علي ملطاني أميناً للصندوق ^(٣) . كما قرر مجلس الادارة تكوين لجنة تنفيذية من خمسة من أعضائه هم محمد علي ملطاني وعزيز ضياء ومحمود قطان وجمال سجينى وعبد القادر أبو الخير ، ومهمة هذه اللجنة تنفيذ قرارات مجلس إدارة الجمعية ^(٤) .

تكاملت للجمعية كل مقومات وجودها والنجاح في أداء رسالتها ، فقد استكملت كل هيئاتها المختلفة ، ولم يتبق أمام كل هذه هيئات الا أن يتطور نشاطها كنهياً في عمل جاد مستمر يؤدي في النهاية الى نجاح المشروع وتحقيق الغايات الكثيرة والآمال العريضة التي علقها الحجازيون على نجاحه .

(١) أسفرت الانتخابات التي أجريت عن فوز كل من : أحمد السباعي ، محمد سعيد عبد القصور ، صبحى الأعشى ، عبد الوهاب آشي ، إبراهيم نوري ، محمد سرور الضبان ، عبد السلام عمر ، محمد علي ملطاني ، محمود قطان ، جمال سجينى ، عزيز ضياء ، محمد صادق ، حمزة عجاج ، عبد القادر أبو الخير ، عمر مهدي ومحمد حسن ققى ، أم القرى ع ٦١٢ بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٣٦ .

(٢) بيان تفصيلي عن مشروع القرش الصادر مجلس الادارة . منشور في صوت الحجاز ع ٢٣٥ بتاريخ أول ديسمبر

١٩٣٦ .

(٣) أم القرى ع ٦١٦ بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٩٣٦ .

(٤) صوت الحجاز ع ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧ .

وعلى طريق استكمال متطلبات المشروع تم تدبير مكان دائم للجمعية فاتخذت من مدرسة الصفا « سابقا » مقراً لها (١) . وعُلقت عليها اللوحة التي تحمل اسم الجمعية (٢) ومن ثم أعلن مجلس إدارة الجمعية عن فتح باب التطوع للشباب وغيرهم للعمل في المشروع (٣) . وانهاالت طلبات التطوع من مختلف فئات المواطنين بمكة المكرمة ، فكان منهم كبار الموظفين ورؤساء تحرير الصحف ومديري المدارس وعدد كبير من أساتذتها ، هذا بالإضافة الى عدد كبير من طلبة المدارس (٤) . وكذلك عدد من شباب أحياء مكة المختلفة (٥) . كما أعلن عدد كبير من أعضاء مجلس إدارة الجمعية عن تطوعهم أيضا (٦) . وبلغت الحماسة للتطوع في المشروع مداها حتى أن بعض الأطفال ممن هم في سن صغيرة أعلنوا عن تطوعهم (٧) . كما تطوع أيضا مفتشو مديرية المعارف ، وبقية أعضاء مجلس إدارة الجمعية ، ومدير المعهد العلمي بمكة (٨) .

وبدأت اللجنة التنفيذية للمشروع تضع الضوابط لعمل جميع المتطوعين ، فوضعت من القواعد والشروط مايكفل سلامة عملية جمع القروش من المواطنين ، فأعدت لكل

(١) أم تقرى ع ٦٢٥ بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٣٦ .

(٢) صوت الخجاز ع ٢٣٤ بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩٣٦ ، وقد تبرع بكتابتها مجانا الخطاط عبد اللطيف أبو السمح مساهمة منه في المشروع ، كما أعلن عن تطوعه لجمع القروش .

(٣) أم تقرى ع ٦٢٥ بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٣٦ .

(٤ ، ٥) أم تقرى ع ٦٢٦ بتاريخ ٤ ديسمبر ١٩٣٦ ، حيث ضم ذلك العدد القائمة الأولى من المتطوعين .

(٦) كان هؤلاء هم : محمد سرور الصبان ، صبحي الأعمى ، عبد السلام عمر . محمد سعيد عبد المقصود ، إبراهيم نوري ، عبد يوهب آشي ، محمد حسن ققى ، عزيز ضياء ، محمد قطان ، عمر مهدي ، عبد القادر أبو الخير وجميل سجينى ، صوت الخجاز ع ٢٣٦ بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٣٦ .

(٧) نفس المكان : حيث تطوع التلميذ بديع صبحي الأعمى ١٠ سنوات والتلميذ شاكر ضيا ١٢ سنة .

(٨) أم تقرى ع ٦٢٨ بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٣٦ .

متطوع منهم شارة يعلقها على صدره الى جانب شهادة معتمدة من الجمعية تثبت شخصيته كمتطوع (١). وتقدم نفر من أبناء مدن الحجاز الكبرى للتطوع في المشروع ، ولذلك رأى مجلس الادارة أن يقيم فروعاً للجمعية في تلك المدن ، واختار المدينة المنورة وجدة والطائف وينبع ليؤسس بها فروعاً للجمعية (٢).

تألف فرع جمعية القرش في المدينة المنورة من عبد العزيز الخرجي رئيساً وحسين طه نائباً للرئيس ومحمد حسين زيدان سكرتيراً وعلى حمد الله أميناً للصندوق وكاظم براده محاسباً (٣). وقد أقام رئيس الجمعية في المدينة حفلاً عاماً على نفقته الخاصة ، وكان فرصة لاطهار أهمية المشروع حيث قد مت فيها الخطب والقصائد الشعرية التي استهدفت بث الدعوة للمشروع وشرح فكرته لمواطني المدينة المنورة (٤).

وفي جده تألف فرع ثان للجمعية تكون من محمد (ب) رضا رئيساً وجميل حوخذار نائباً للرئيس وعباس حلواني سكرتيراً وأحمد يوسف زين أميناً للصندوق ويونس سلامة محاسباً (٥). أما فرع الطائف فقد تألف برئاسة محمد صالح الغزوي ، ومحمد سعيد أبو ناصف نائباً للرئيس ، وعبد الوهاب عرب أميناً للصندوق ، وعبد الوهاب عادل سكرتيراً ومحمد سعيد كمال محاسباً (٦). وفي ينبع تألف فرع الجمعية من محمد عمر سبيه رئيساً وعلى حسن زارع سكرتيراً وحامد سبيه أميناً للصندوق (٧). كذلك فقد ضم كل فرع من تلك الفروع عدداً من الأعضاء والمتطوعين (٨).

(١) صوت الحجاز ع ٢٣٦ بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٣٦.

(٢) نفس المكان.

(٣) نفسه ٢٣٨ بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٣٦.

(٤) نفسه ٢٤٣ بتاريخ ٢٦ يناير ١٩٣٧.

(٥) نفسه ع ٢٣٧ بتاريخ ٢٢ ديسمبر ١٩٣٦.

(٦، ٧) نفسه ع ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧.

(٨) نفسه أعداد ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥.

ومن الواضح أن الهيكل التنظيمي للجمعية قد استكمل بناؤه ووضعت له كافة التنظيمات والأطر الادارية والتنظيمية ، مما يهيء للجمعية فرص النجاح في تحقيق مسعاها اذا صدقت النوايا ، وبذل المسؤولين عن المشروع الى جانب المتطوعين جهودهم المخلصة ، وكذلك اذا انتضحت فكرته وتبلورت في أذهان المواطنين ، وهو ما لم يتحقق الا اذا توفرت للمشروع دعاية حسنة تبسط فكرته وتوضح أهميته للمواطنين مستخدمة كل الاساليب الممكنة لتحقيق هذا الغرض .

وفي نفس الوقت الذي ظهر فيه مشروع القرش ، ظهر مشروع آخر هو تأسيس الشركة العربية للتوفير والاقتصاد ، والتي استهدفت غرس عادة الادخار لدى المواطنين في الحجاز ، وقد اتخذت الشركة من مكة مقرا لها ، وتولى محمد سرور الصبان رئاسة مجلس ادارتها أيضا (١) . وطرحت الشركة ألفي سهم للاكتتاب فيها . قيمة كل منها ألفان ومائتا قرش تدفع على أجزاء يومية ، بحيث يدفع المساهم قرشا واحدا كل يوم ، والشركة تستهدف من وراء هذه التسهيلات اتاحة الفرصة لأكبر عدد من المواطنين حتى فقراءهم (٢) .

وأمام هذا الخلط بين القرش الذي يدفعه المساهمون في شركة التوفير ، والقرش الذي يدفعه المواطنون لمشروع ، كان ولا بد وأن يعمل المسؤولون عن المشروع الأخير على توضيح الفرق بين القرشين ، فدرجت المقالات على صفحات الصحف (٣) . ولم يكتف مجلس

(١) كان الشيخ محمد سرور الصبان يعد « زعيم » الشباب في مكة ، وقد أراد أن يقود محمد ضمت حزب باشا في مصر عندما أسس بث مصر وشركاته المختلفة ، فأسس الصبان في مكة الشركة العربية للسيارات . الشركة العربية للطبع والنشر . والشركة العربية للتوفير والاقتصاد ، الشركة العربية للتصادرات . شركة مع وكثيره جيزان . شركة الزهراء للعبادة ، شركة مصحف مكة . أنظر محمد عى مغرى ، أعلام الحجاز ط ٢ . جلد ٢ ، دار نبع للطباعة والنشر ، ١٩٨٥ ، ص ٢٤٥ .

(٢) أم القرى ع ٥٩٩ بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٣٦ .

(٣) نفسه ع ٦٠٩ بتاريخ ٧ أغسطس ١٩٣٦ .

الادارة بذلك ، بل رأى ضرورة اصدار بيان تفصيلي عن المشروع ، شرح فيه فكرته وحقيقته والأطوار التي مر بها ، وأهم مراكز عليه البيان هو توضيح الفرق بين قرش المشروع وقرش شركة التوفير حتى يزيل ذلك الخلط في أذهان الجماهير ، هذا بالإضافة الى أن البيان كان فرصة مواتية لشرح بعض مواد قانون الجمعية الأساسي كما كان دعابة واسعة النطاق للمشروع ، وفي ختام ذلك البيان ألقى مجلس الادارة تبعة نجاح المشروع أو فشله على الشعب اذ أنه من الشعب والى الشعب ^(١) .

وواصلت الصحف دعوتها لمناصرة المشروع وتأييده ، فكتبت المقالات تدعو الشعب للمساهمة فيه اذ « لاسبيل لنجاح هذا المشروع اذا لم يشترك الشعب بأسره في تعظيمه ... ومن فوائده أن تظهر الأمة متحدة متكاتفه اننا نطالب باسم مصلحة الوطن من المثقفين بث هذه الفكرة في مواطنيهم وحبهم عليها » ^(٢) . كما وجهت النداءات التي تحت الجماهير على انجاح المشروع ، فكان منها « لا تنسى أن تحمل قرشا في أيام العيد ، فان متطوعى القرش سيقالبونك بالدين الذي غلبت للوطن » ^(٣) .

وقرر مجلس الادارة أن يباشر عملية جمع القروش في عيد الفطر ، وأن تستمر العملية لمدة أسبوعين فقط تبدأ من غرة شوال وتنتهى في الرابع عشر منه ، كما قرر المجلس أن يقوم بطبع بطاقات التهانى بالعيد ، تكون كدعاية للمشروع من جهة ، ومن جهة أخرى تحقق بعض الأرباح للجمعية ^(٤) . كذلك كان المجلس قد قرر أن يتبرع كل عضو من أعضائه

(١) صوت الحجاز ع ٢٣٥ بتاريخ أول ديسمبر ١٩٣٦ ، ضم ذلك العدد بياناً أشار اليه والذي تبرعت بطبعة شركة الطبع والنشر على حسابها ، وهو وثيقة مهمة قد لا تدرك غير هذا ككتيبه تكليف من مجلس الادارة وصدرت باسم الخمس .

(٢) أم القرى ع ٦٠٦ بتاريخ ١٧ يوليو ١٩٣٦ .

(٣) نفسه ع ٦٢٧ بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٣٦ .

(٤) صوت الحجاز ع ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧ . ونشرت جريدة أم القرى في عددها رقم ٦٢٦ بتاريخ ٤ ديسمبر ١٩٣٦ اعلاناً عن تلك البطاقات ، بادروا الى شراء بطاقات تهنى من جمعية القرش - المائة بريالين .

بريال واحد شهريا ، اعتبارا من شهر رجب ١٣٥٥ هـ ، وذلك لتخصيص مورد ثابت للجمعية يساعدها على تأمين بعض حاجياتها الضرورية (١) .

وجاءت مناسبة عيد الفطر ليبدأ العمل في المشروع ، فجمع القروش من المواطنين نظير طوابع بقيمتها تعطى لهم ، كما تجمع التبرعات أيضا من الأغنياء والأعيان وكبار رجال الدولة الذين يدفعهم الى تقديمها تأييدهم للمشروع وحرصهم على خدمة وطنهم ، وعلى سبيل المثال تبرع الأمير فيصل بن عبد العزيز نائب الملك في الحجاز بأربعمائة ريال (٢) . أما عن بيع الطوابع للمواطنين وهي المصدر الثاني من مصادر المشروع المالية ، فقد أصدرت اللجنة التنفيذية للمشروع بيانا في ثالث أيام عيد الفطر عن سير حركة المشروع جاء فيه : « لقد نجح مشروع القرش نجاحا ماكان منتظرا ، ولقد قام المتطوعون والعاملون لنجاحه بعملهم ووجههم على خير وجه . ولقد أظهر الشعب الكريم جميع مايكف فؤاده من حب لبؤس وخراب للبلاد » (٣) .

وبرغم النجاح الذي حققه المشروع — كما أعلنت ذلك اللجنة التنفيذية — فان بعض المواطنين قد أبدى تبرمه من تصرفات بعض المتطوعين في أثناء عملية جمع القروش ، مما اضطررت معه اللجنة التنفيذية أن تقدم اعتذارها « الى الشعب الكريم عن كل غلطة أو هفوة صدرت من المتطوعين ومن عادة كل عمل أن يعتريه بعض الازتيك في البداية » . وأعربت عن تمنياتها بأن توفق الى طريقة تضمن بها رضا الشعب على المتطوعين

(١) صوت الحجاز ع ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧ .

(٢) كما تبرع عبد الله السليمان وزير المالية بمائتي ريال ، ومحمد السليمان وكيل وزارة المالية بمائة ريال . ومحمد أبو الوليد بمائة ريال . وعبد الله محمد الفضل رئيس جمعية القرش بمائة ريال ، وسليمان الحمد بستين ريالا ، وميسرة بنت مدير الشرطة بخمسمائة قرش ، ومحمد سرور الصبان رئيس مجلس ادارة الجمعية بخمسمائة قرش ، ومحمد هرساني رئيس المتطوعين بخمسة عشر ريالا . وعشر رالات من ابراهيم الشورى ، وغير هؤلاء كثيرون ، أم القرى ع ٦٢٨ بتاريخ ١٨ ديسمبر

وعليها في عمليات الجمع المقبلة (١).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد وجد المشروع من يهاجمه ويعترض على فكرته ، وذلك شأن أى عمل تنقسم الجماهير حوله بين مؤيد ومعارض ، وكان رد الفعل قويا لدى مؤيدى المشروع فطالبوا المعارضين بأن يكتفوا عن هذه المظاهرات وأن يناصروا المشروع « ليؤدوا بذلك أجل خدمة لأمتهم حتى يعلموا شأنها بين الأمم التى شيدت مجددا على أسس الاقتصاد ، ومنها مصر التى خطاها هذا المشروع العظيم خطوات بعيدة فى سبيل الاستغناء عن منتجات الخارج ، مصر التى نأخذوها ونحذوها العالم العربى أجمع مصر التى خدمها أفذاذها البارزون الذين آثروا حب الخير على انثرة الجوفاء أتريدون تحطيم آمالنا العظيمة وأمانينا الذهبية على صخرة اعتقاداتكم البائسة » (٢).

وم يكده المستولون عن المشروع ينتهون من أعمال دورة جمع القروش الأولى بسليباتها وإيجابياتها — حتى كان عليهم أن يستعدوا للدورة القادمة ، وألا يشبه ذلك انهجوم الذى لقيه المشروع من البعض عن مواصلة السعى لاتمام الشوط حتى نهايته . وعلى ذلك الطريق اتخذ مجلس ادارة الجمعية عددا من القرارات كانت كئيبا تعبر عن ضرورة مواصلة العمل والبحث عن كل مجال يؤدي الى نفع المشروع وخيره ، ومن أهم هذه القرارات : —

١ — قرار بتأسيس مصنع لتصدير تمور البلاد المقدسة ، وعهد أنجلس الى لجنة شكلتها من بين أعضاءه . وهم صبحى الأعمى ومحمد سعيد عبد المقصود وجميل سجينى وحزوه عجاج — القيام بكل مايتصل بشئون هذا المصنع ، وقرر صرف كل مايتاج اليه من الأموال من رأس المال الذى تجمع لدى الجمعية نتيجة لأعمال الدورة الأولى لجمع القروش .

٢

(١) أم القرى ع ٦٢٨ بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٣٦ .

(٢) صوت الحجاز ع ٢٣٨ بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٣٦ .

٢ - قرار بأن تكون الدورة الثانية لجمع القروش خلال شهر ذى الحجة عام ١٣٥٥ هـ (١) .

٣ - قرار بإسناد رئاسة المكتب الدائم لجمعية القرش الى عزيز ضياء أحد أعضاء مجلس الادارة وذلك بجلسته بتاريخ ٢٣ شوال ١٣٥٥ هـ (٢) . ووضع المجلس نظاما للمكتب نص على تعيين نائب للمدير وكذلك عضوين يرشحهم مدير المكتب ويوافق عليهم مجلس الادارة (٣) . هذا بالإضافة الى كاتب ومحاسب وأمين للصندوق مكفول وفراش لقاء رواتب مقرر . كما حدد النظام أعمال المكتب وصلاحياته ، ومنها مسؤوليته عن ادارة أعمال الجمعية وفق قرارات مجلس الادارة ، كما أن للمكتب الحق في أن يقوم بأى عمل من شأنه أن يحافظ على أموال الجمعية وممتلكاتها ، وأن يتسلم أموال الجمعية ولايصرف منها شيئا لا بقرار من مجلس الادارة ، كما أعطى مدير المكتب صلاحيات واسعة في ادارته وتصريف شئون الجمعية (٤) . ويبدو أن المكتب الدائم قد استدعت وجوده لضرورة ليحل محل الهيئة التنفيذية . وليكون المرجع لكل من يساهم في المشروع حيث أسند اليه كل هذه الاختصاصات ، فصار هو الهيئة التى أو كل اليها كل ما يخص المشروع تحت اشراف مجلس الادارة .

٤ - قرار باصدار عدد ممتاز من جريدة صوت الحجاز خاصا بالمشروع يخبره كبار الكتاب والأدباء ، يكون خير دعاية للمشروع وخير وسيلة لشرح كل ما ظل غامضا عنه وعن فكرته وهدفه ، كما يكون دعوة صادقة الى كل عناصر الشعب لتأييده ومناصرته (٥) .

(١) صوت الحجاز ع ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧ م .

(٢) أم ترقى ع ٦٣١ بتاريخ ٨ يناير ١٩٣٧ .

(٣) نظم المكتب الدائم منشور في جريدة صوت الحجاز ع ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧ .

(٤) تقرير المكتب الدائم عن أعمال جمعية القرش ، منشور في صوت الحجاز العدد السابق .

(٥) وفكرة اصدار عدد ممتاز عن المشروع من جريدة صوت الحجاز مأخوذة أيضا عن جمعية القرش في مصر عندما أصدرت عددا ممتاز من مجلة ، الدنيا المنصورة ، في ١٠ يناير ١٩٣٢ م خصصت دار اذلال صاحبة المجلة دخلة اضافي الذى بلغ ثمانية جنيه مصرى لصالح المشروع والذى كان نواة لرأسماله ، أنظر : على شلبي : التراجع السابق . ص ٦١ .

وبعد أن اتخذ المجلس كل هذه القرارات ونفذ بعضها ، كان قد حان وقت العمل في الدورة الثانية في شهر الحج ، فصدر في الخامس منه العدد الممتاز من صوت الحجاز عن المشروع ، وقد حملت صفحته الأولى ثلاث صور كانت للملك عبد العزيز وولي عهده ونائبه العام في الحجاز ، وجاءت تحت كل منها كلمات لكل منهم ، فقال الملك عبد العزيز « كل شيء في هذه البلاد يحتاج الى اصلاح ، وحكومته وأهله في أشد الحاجة الى مساعدة العالم الاسلامي لحما على هذا الاصلاح ، لأن فيه من يعلم مالا يعلمون ويقدر على مالا يقدرون » (١) .

أما ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز فقال « الواجب علينا اليوم نحن الحكومة وأنتم يا شعبنا الكريم أن نسعى لرق بلادنا ، ونحن سوف لا نترك شيئا مما في الجهد والطاقة الا ونفعله ان شاء الله » . . وجاءت كلمة النائب العام الأمير فيصل بن عبد العزيز « ان هذه البلاد هي مصدر الدين ومصدر العلم ومصدر المدنية الاسلامية الصحيحة وان نطلب من الشعب أن يتقدم ويعضدنا على نشر العلم لأنه لحياتنا لا اله الا به » (٢) . وعن رأي سموه في مشروع القرش قال « المشروع مفيد ويقدر له النجاح اذا وجد تعضيدا من طبقات الأمة » (٣) .

وكان اصدار ذلك العدد من جريدة صوت الحجاز أكبر دعاية للمشروع ، تكاد تفوق كل ما كتب عنه طوال السنوات الماضية ، منذ أن كان فكرة حتى تحقق وجوده ، فقد كان ذلك العدد فرصة لكل صاحب رأى أن يقول رأيه ، ولكل داع للمشروع أن يبث دعوته ، وللمكتب الدائم أن يكتب ما شاء من تعليمات للمستوعين وللمجتهدين خاصة بعمليات جمع القروش المقبلة . كما أعدت الصحيفة تحقيقا واسعا مع كبار الشخصيات في الحجاز وعلى رأسهم النائب العام حول المشروع وأهميته . وما يمكن أن يقدمه من خدمات

(١) صوت الحجاز ع ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧ .

(٢) نفس العدد السابق .

للبلاد (١) . كما ضم ذلك العدد عديدا من المقالات التي تركزت كلها حول المشروع وأهميته وضرورة تعضيدته وتأيينه ، كما قام الشعراء بدورهم في هذا المجال ، فنشرت لهم قصائد حماسية وفكاهات كلها تدعو المواطنين للمساهمة في المشروع (٢) .

ووجه المكتب الدائم للمشروع نداء الى المواطنين على صفحات ذلك العدد تحت عنوان « مشروع القروش ، مشروع قومي فيجب أن تعضده الأمة على اختلاف طبقاتها » بدأ المكتب في توجيه ذلك النداء الى الأساتذة والمدرسين فذكرهم بالدور الكبير الذي عليهم أن يقوموا به لحث الطلبة على التطوع والاكتتاب في المشروع . ثم طالب الأعيان والأثرياء والتجار وكل الفئات القادرة على التبرع للمشروع . أما الشباب من الطلبة والعمال فقد طالبهم النداء ببذل كل جهد ممكن في عملية جمع القروش ، وكذلك المساهمة في « المشروع الذي سيفتح لكم أبواب العمل على مصراعها فترتفع أجوركم ولن تجحدوا — بعد الآن — بينكم عاطلا ولا مهملا » (٣) .

واتخذت الدعوة للمشروع في دورته الثانية شكلا تنظيميا أكثر فأعد المكتب الدائم لائحة للمتطوعين تنظم عملية التطوع ، وتضع كل الضمانات لسلامة عملية جمع القروش من المواطنين كما أصدر المكتب تعليماته للجمهور أيضا ليسهل عليه عملية شراء الطوابع ويخطيها بكل الضمانات الكافية (٤) .

وفي هذا المجال قرر المكتب الدائم أن يكون له مندوبون يقومون بالمراقبة والتفتيش على أعمال المتطوعين وضم شارة مميزة يحملونها ، ولهم حق سحب شئادة وشارة كل متطوع يخالف التعليمات الواردة في لائحة المتطوعين ، كما يعتبر غير متطوع ويخرم منه في الدورات القادمة .

(١) صوت الحجاز ع ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧ .

(٢) العدد السابق .

(٣ ، ٤) العدد السابق .

وأُسندت هذه المهمة الى هاشم زواوى - أحد أعضاء جماعة المؤسسين - كمفوض من قبل المكتب الدائم بالمراقبة والتفتيش (١) .

ويبدو أن ماواجهه المشروع من معارضة وماأشيع حوله من شائعات كان دافعا لأن تنصب حوله الرد عليها كل دعوة للمشروع حتى لايفت ذلك فى عضد الشباب العامل على نجاحه فوجه أحد مؤيديه كلمته الى الشباب « واذا كانت لى نصيحة الى الشباب المخلصين القائمين بهذا الأمر فهى أن أرجوهم فى اخلاص شديد أن يتذرعوأ بشيء كثير من الصبر والجلد والاحتمال على ملاقات مايعترضهم فى هذا السبيل من عقبات ومضاعب وماهى الانتيجة جهل الكثيرين عن نتائج هذا المشروع وفوائده الجليلة ، لاسيما ومثل هذا المشروع غريب فى بلدنا بعيد عن أذهاننا » (٢) . ويرى آخر أن الشعب الحجازى يسىء النية حول كل مشروع جديد « ويتهمه باتهامات متنوعة غريبة..... فان أية اشاعة تنتشر يصدقها الناس ولايصدقون أية تصريحات تنفيها أو تدحضها » (٣) .

وسارت الدعوة للمشروع فى دورته الثانية فى خطين متوازيين كان الأول منهما الترغيب فى المشروع وماسبقدمه من خدمات جليلة للوطن والمواطنين ، أما الثانى فقد كان دفع التهم عنه وعن القائمين عليه . وعلى الطريق الأول أفاض الكتاب والأدباء وكبار رجال الدولة فيما يمكن أن يحققه المشروع للبلاد ، فهو الخطوة الأولى فى طريق النهضة الاقتصادية ، فكان

(١) نعد السابق وأن كان الأستاذ هاشم زواوى ينفى أنه قام بهذا العمل . وإنما كان ذلك محاولة من المكتب الدائم لاسترضائه بأسناد عمل من أعمال المشروع له بعد عودته من رحلته فى بعض البلاد العربية ، وهو لم يحضر الدورة الأولى للمشروع ويذكر أن كل ما فعله بعد عودته انه اشترى خمسائة طابع من طوابع المشروع واكتفى بذلك لقاء بمنزله بخدة بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٨٧ .

(٢) نعد السابق من مقال محمد صالح الديباغ بعنوان « مشروع القرش يحتاج الى صبر وجلد » .

(٣) نعد السابق ، من مقال محمد سعيد عبد المقصود بعنوان « عواطف الشعب نحو المشروع » .

اعلان الجمعية للجمهور « القرش الذى تكتب به يسير فى بذله عظيم فى نفعه ، بالقرش تشيد صرحا من صروح الاستقلال » (١) . ولم تقتصر الدعوة على مواطنى الحجاز فقط وانما وجهت الدعوة الى كافة المسلمين فى موسم الحج الى تأييده فقال أحد المسئولين المصريين « أهيب بمسلمى المشرق والمغرب من هذه الأقطار المقدسة أن يبادروا بتلبية هذا المشروع » (٢) .

وعلى طريق الدعوة للمشروع وبث الثقة فى نفوس المواطنين حوله ظهر فى الأسواق نتاج مصنع تصدير التمور ، فأعلنت الجمعية عن « تمر القرش ، أحسن هدية يحملها الحاج من البلاد المقدسة » . وهو « أول ثمرة حسنة من ثمار هذا المشروع » . (٣) ولعل ذلك لعمل فى تعبئة التمور كان يستهدف أمرين ، استثمار أموال المشروع من دورة الجسع الأولى ، وفى نفس الوقت ثمرة عاجلة لقروش المواطنين التى دفعوها لبث الثقة والاطمئنان فى نفوسهم .

وعنى أية حال ، فقد بذل القائمون على المشروع كل دعاية ممكنة حتى يحقق المشروع حظاً أوفر فى دورته الثانية ، خاصة وأن الحجاز فى أثناء هذه الدورة يشهد إنعقاد المؤتمر الاسلامى الكبير ، وأعنى به موسم الحج ، الذى اعتبره القائمون على المشروع فرصة مواتية ليخرج المشروع إلى دائرة أوسع وأرحب .

وتطوع لجمع قروش المشروع فى دورته الثانية عدد من المتطوعين الذين أدوا واجبهم فى الدورة الأولى (٤) . هذا الى جانب عدد من المتطوعين الجدد (٥) . ومن الملاحظ أن كثيراً

(١) حديث اخبر به ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧ .

(٢) العدد السابق ، من كلمة أحمد فريد رفاعى مدير الصحافة والنشر بمصر .

(٣) العدد السابق ، حيث حملت الصفحة السابعة اعلانا كبير عن التمور التى يقدمها مصنع القرش .

(٤) العدد السابق . وقد بلغ عددهم أربعاً وعشرين متطوعاً فى مكة .

(٥) العدد السابق . وقد بلغ عددهم عشرة متطوعين فى مكة أيضاً .

من المتطوعين الذين أعلنوا عن تطوعهم في الدورة السابقة وخاصة من كبار رجال الدولة وكبار الموظفين ورؤساء تحرير الصحف ومديري المدارس وغيرهم لم يعلن أحد منهم عن تطوعه في هذه الدورة .

وعلى الرغم من كل هذا الذي قيل وكتب عن المشروع ، وما اتخذته الدعوة له من شكل تنظيمي ، فلم يتوفر للمشروع العدد الكافي من المتطوعين للعمل فيه حتى وجه أحد الكتاب اللوم إلى المواطنين قائلا « أليس من العار أن يفتقد القائمون بالمشروع المتطوعين ، فلا يجدون الا أفرادا قلائل لا تسمح لهم أوقاتهم الرسمية وأعمالهم الكثيرة بالقيام بواجب التطوع على الشكل الواسع الذي لابد منه » (١) . ويبدو أن المواطنين في الحجاز كانوا مشغولين في موسم الحج بأداء واجبات خدمة الحجيج ، وهو الموسم الذي ينتظره الحجازيون كل عام حتى يحقق كل منهم دخلا يكاد يعتمد عليه في المقام الأول ، ولعل ذلك هو الذي صرف أغلبهم عن المشاركة في عمل عام كهذا ، وطغت المصلحة الشخصية على المصلحة العامة الى حد كبير ، وفترت حماسة الشباب والمواطنين لتأييد المشروع وتعضيده .

وأنتفى أحد الكتاب مسئولية ذلك الفتور على أخيات المشرفة على المشروع فقال « فالى مجلس ادارة القرش وجمعية العمومية أوجه القول أخيرا بكل صراحة وجراحة قائلا : أن التضحية والدعاية التي يتطلبها منكم المشروع ضيقة الحدود جدا وأن صوتكم التوى لم يتوغل بعد في الطبقات والهيئاتفهلا ضاعفتم الجهد وسلاحكم في جهادكم المبرور ثقة الأمة » (٢) . والكتاب شاهد عيان يعبر عن الواقع الذي رآه .

ولم يكن ذلك هو السبب الوحيد في هذا الفتور الذي لقيه المشروع وإنما كان للدعاية المضادة التي بثها نفر من المعارضين أثرها في صرف المواطنين عنه ، ولم تنجح كل المحاولات لدحض التهم التي وجهت اليه وتبديد الشائعات التي دارت حوله ، وتحقق هذا الذي رددته

(١) صوت الحجاز ع ٢٤٨ بتاريخ ١٦ مارس ١٩٣٧ .

(٢) نفسه ع ٢٤٦ بتاريخ ٢ مارس ١٩٣٧ .

أحد أعضاء مجلس إدارة الجمعية من أن المواطنين يصدقون الاشاعات فقط . ولذلك باب واضحاً للعيان أن المشروع لم يشهد في دورته الثانية ، ماكان له من حماسة واقبال عظيمين من مختلف الفئات في دورته الأولى ، برغم ما اكتسبه القائمون عليه من الخبرة ودقة التنظيم في الدورة الثانية .

وعلى أية حال ، سار المشروع في دورته الثانية ليستكمل الخطى التي بدأها في الدورة الأولى ، فاتجه المسؤولون عنه إلى جمع الأموال عن طريق التبرع أو شراء الطوابع خلال المدة المحددة لذلك وهي شهر ذى الحجة . فقدم بعض المواطنين تبرعاتهم وكذلك بعض الوافدين من البلاد العربية والإسلامية (١) . وتبدو حركة التبرع للمشروع أقل كثيراً عما كان عليه الحال في دورته السابقة ، ولعل ذلك يرجع إلى أن جمعية القرش لم تكن وحدها هي التي تقدم لها التبرعات في ذلك الوقت ، وإنما شاركتها هيئات وجمعيات أخرى في اقتسام تبرعات المواطنين مثل دار الأيتام وجمعية الاسعاف وجمعية الطيران — التي فتحت باب التبرع ليتم من حصيلة هذه التبرعات شراء طائرات للبلاد . وكان نصيب جمعية القرش من هذه التبرعات هو أقل المبالغ التي يتم التبرع بها (٢) .

ويبدو أن الحال التي آل إليها أمر المشروع قد جعل المتحمسين له والذين رأوا فيه وفي

(١) وعلى سبيل المثال تبرع كل من : أسعد بك وفائق من أثرياء حلب بمبلغ عشرة جنيهات مصرية . وإسيد باشا لبيدراوى — من كبار ملاك مصر — بمبلغ خمسين جنيهاً مصرية ، وتبرع أمين الحسيني جيه واحد فلسطيني . ومحمد سام قريظ من مركز أبو خنيسر بحيرة بصر ستة ريالاً عربية . كما تبرع من رئاسة المطوفين بمكة عدد كبير منهم أكثر من خمسين فرداً تبرعتهم بين خمسة وعشرين ريالاً وريال واحد . كما تبرع لمشروع من جيزان محمد العيسى

العثماني بريال عرني واحد . أنظر أم القرى ع ٦٣٨ ، صوت الحجاز اعداد ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ .

(٢) صوت الحجاز ع ٢٥١ بتاريخ ٦ أبريل ١٩٣٧ . فعلى سبيل المثال كانت تبرعات محمد الخرساني رئيس المطوفين لجمعيات مسكورة كاشي : عشرين ريالاً لجمعية القرش ، وأربعون ريالاً لدار الأيتام ، أربعون ريالاً لجمعية الاسعاف ، ومائة ريال لجمعية الطيران . وكان ذلك هو حال كافة التبرعات التي نشرتها الصحف ونشس الطلبة تقريباً .

نجاحه حلا لكل المشكلات في البلاد ، قد جعلتهم يفيقون من أحلامهم ويقفون على أرض الواقع فكتب أحدهم قائلا « سنة التطور التدريجي تحتم علينا قسرا أن نقتنع في مشاريعنا الاقتصادية بالثمرة البسيطة فالطفرة خروج على سنن الحياة القويمة » (١) .

وعلى الرغم مما حدث ، فقد ظل الفريق المعارض للمشروع — والذي أصر أن يثير الغبار حوله وحول القائمين عليه — يمارس نشاطه في متابعة حملته مما كان له أثره الكبير على المشروع وعلى نجاحه ، وامتد الهجوم إلى المسؤولين عن المشروع أنفسهم ، مما أثار تائرة مدير المكتب الدائم فكتب مقالا عنيفا يرد به على هؤلاء فقال « في الناس عندنا فريق سخيف في افكاره ضعيف في عقله ونحن لاندرى أى شيطان يوسوس لهذا الفريق المسكين أن يخلق أخبارا لا نصيب لها من الواقع ، وأن يخلق اشاعات لأثر فيها للصدق والحق » . وحاول عزيز ضياء أن يثير المواطنين على هؤلاء فقال « ولاندرى كيف لايعاقب الشعب الذي يحترم نفسه أمثال هؤلاء » . كما حاول نفى التهم عن القائمين على المشروع بقوله « ان القائمين بأمر المشروع يحافظون على هذه الأموال محافظتهم على أموالهم الخاصة وانهم في نفس الوقت لا يحتاجون لشيء من هذه الأموال نظرا الى أنهم جميعا من الأثرياء والممتازين بشخصياتهم القوية المعروفة بالنزاهة والوطنية والشرف » (٢) .

وما أن انتهت أعمال الدورة الثانية لجمع القروش ، حتى دعا المكتب الدائم مجلس الادارة للنظر في التقارير التي أعدها المكتب عن أعماله في هذه الدورة . وفي نفس الجلسة قدم رئيس المكتب الدائم استقالته للمجلس موضحا أن ظروفه تقتضى ذلك ، فقد قرر أن يسافر — فجأة — الى مصر ليستكمل دراسته الثانوية هناك ، كذلك استقال موظفي المكتب أيضا لانتفاء عقودهم (٣) .

(١) صوت الحجاز ع ٢٤٦ بتاريخ ٢ مارس ١٩٣٧ .

(٢) نفسه ع ٢٤٧ بتاريخ ٩ مارس ١٩٣٧ من مقال بعنوان « سخفاء ضعفاء » بقلم عزيز ضياء مدير المكتب الدائم للمشروع .

(٣) نفسه ع ٢٤٨ بتاريخ ١٦ مارس ١٩٣٧ .

ومن المهم أن نشير هنا الى أن المكتب الدائم أغلق أبوابه تماما بعد ذلك ، ولم يعد هناك ذكر للمشروع لفترة طويلة ، حتى خرجت الصحف على الناس تحمل مقالات وتساؤلات عن المشروع وعن قروشه . فكتب أحد الشبان مقالا بعنوان « أين انتم يا أصحاب القرش ولماذا أنتم صامتون » جاء فيه « وآلآن فما لنا لانسمع شيئا عن المشروع ... ان سكوت الجمعية قد أساء كثيرا إلى سمعة المشروع ان احجام الجمعية عن اصدار بيانها الذى نص عليه النظام قد جعل الألسن تلوك عنها التقولات » (١) .

وتساءل كاتب آخر « أين مشروع القرش أين مشروع الأمة » ، لقد انتهت الدورة الثانية للمشروع وبقي الشعب ينتظر أعمال المشروع ردحا من الزمن الى ان خفتت الأصوات وخدمت الأفكار ولم يبق ذكرا للمشروع . ثم قال ماذا كان يضير أصحاب المشروع لو فكروا فى ايجاد عمل صالح لواردات المشروع واشتغلوا فيه مبدئيا ليظهروا بمظهر مشرف أمام الملأ (٢) . وأصر نفس الكاتب على أن يعرف جوابا لسؤاله أين مشروع القرش ، فأجرى حديثا مع صبحى الأعشى نائب رئيس مجلس ادارة الجمعية تبين له من خلاله أن واردات المشروع فى دورتيه محفوظة كأمانه لدى بيت زينل (٣) . وصرح النائب بأن الوارد بسيط جدا لا يمكن عمل شيء به ، كما أن الجمعية لم تستطع أن تقدم تقريرها عن أعمال المشروع فى عامة الأول لأنه مازال لها بعض المبالغ لدى الفروع ولدى بعض المتطوعين ، ووعد النائب بنشر ذلك التقرير عندما ترد كافة المبالغ التى للجمعية لدى هؤلاء (٤) . وتساءل كاتب آخر ، موجها سؤاله الى القائمين بالمشروع فقال « اين أعمالكم التى مضت عليها سنة ، جرد وا أعمالكم خلال العام وبينوا للأمة ما عملتموه

(١) أم القرى ع ٦٤٩ بتاريخ ١٤ مايو ١٩٣٧ .

(٢) صوت الحجاز ع ٢٦٨ بتاريخ ٤ اغسطس ١٩٣٧ .

(٣) وهى من العائلات الشهيرة فى حده ومن أشهر أفرادها تيسا على زينل مؤسس مدارس الفلاح الأهلية نجدة ومكة فى مطلع القرن العشرين .

(٤) صوت الحجاز ع ٢٦٩ بتاريخ ١٠ اغسطس ١٩٣٧ ، وقد أجرى ذلك الحديث عبد السلام طاهر الساسى المحرر بصوت الحجاز .

وأكشفوا عما فعله القرش » (١) .

وأصرت الجمعية على الصمت ، واعتقد البعض أنها ستواصل نشاطها ، وأنها ستتولى دورة جمع القروش الثالثة في عيد الفطر ، الا أن ذلك لم يحدث ومرت مناسبة رمضان وعيد الفطر ولم ينبس أحد من القائمين على المشروع ببنت شفة عنه (٢) . ويبدو أن المشروع وفكرة استمراره قد خمدت إلى الأبد ، وتسرب اليأس إلى نفوس القائمين عليه ، وأصبح كل مايشغلهم هو أن يقدموا تقريرهم عن أعمال المشروع في دورته الى الجماهير وينتهى الأمر .

وفي السادس من ذى الحجة عام ١٣٥٦ / ٦ فبراير ١٩٣٨ نشرت جريدة صوت الحجاز « تقرير السنة الأولى عن أعمال مجلس ادارة جمعية القرش للمشاريع الاقتصادية » . بعد أن ساد صمت رهيب من المجلس لمدة عام كامل ، وهذا التقرير كان آخر عمل قام به المجلس ، ولعل في مناقشة ماجاء به من تفاصيل عن المشروع وعن حسابه الختامى مايوضح حقيقة الموقف .

استهل المجلس تقريره بتقديم الشكر لصاحب الجلالة الملك ونائبة ، ثم تحدث عن فكرة المشروع — بعد مرور خمس سنوات على طرحها — فقال « يرى المجلس أن لابد من كتابة كلمة موجزة عن فكرة المشروع لأنه أحس أنه مايزال هناك بعض أفراد من الشعب لم يفهموا فكرة المشروع على حقيقتها أو لم يشاءوا أن يفهموها الفهم الواجب الصحيح ، وهؤلاء أحد فريقين : فريق يجهل الفكرة من أساسها ولم يفهم أغراضها ومراميها . وفريق أرى الا أن يثير الغبار ضد كل فكرة جديدة » (٣) . ولعل عدم الفهم للفكرة راجع إلى المستوى التعليمى والثقافى لأهل الحجاز وانتشار الأمية بينهم ، هذا بالإضافة إلى أن أغراض المشروع لم تكن مفهومة للعامة .

ت

(١) أم القرى ع ٦٧٣ بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٣٧ .

(٢) صوت الحجاز ع ٣٠٣ بتاريخ ١٩ ابريل ١٩٣٨ .

(٣) تقرير السنة الأولى عن أعمال مجلس ادارة جمعية القرش للمشاريع الاقتصادية ، منشور في صوت الحجاز ع ٢٩٤ بتاريخ ٦ فبراير ١٩٣٨ .

ثم جاء دور تقديم كشف الحساب عن أعمال الجمعية في عامها الأول ، فجاء في التقرير أن الجمعية أصدرت مائة وخمسين ألفا من الطوابع ليم بيعها على المواطنين في كل دورة نصفها ، ثم تناول الأعمال التي قامت بها الجمعية لاستثمار أموال المشروع ، فتحدث عن مشروع تعبئة التمور فقال « ويرى المجلس أن من واجبه أن يعلن أن الربح الذى أمله من وراء المشروع لم يتحقق تماما ، ويعود هذا الى الوقوع في أخطاء لم يكن بد من الوقوع فيها ، طالما أن هذه الخطوة كانت أولى خطواته ، ولما لابس الأمر من ظروف اقتضتها السرعة والتعجيل ، منها شراء التمر بأسعار مرتفعة ، ومنها بعض الأخطاء الفنية في التعبئة اليدوية ، وقد كانت تتطلب استخدام الماكينة التى عجزت موارد الجمعية عن تديرها » (١) .

وانتقل التقرير بعد ذلك إلى أهم ما جاء به وهو حسابات الجمعية ، فذكر أن النقود الموجودة لديها هى مبلغ ٧٣٧٠٤ قرشا دارجا وعشر بارات وهو محفوظ كأمانة بايصال لدى بيت الحاج عبد الله على رضا زينل وهو من كبار التجار بجدة . كما أشار أن للجمعية من حساب الطوابع لدى بعض المتطوعين والفروع مبالغ مقدارها ٤٥٥٠٤ قرش دارجة ، كما تبقى لدى الجمعية طوابع من الدورتين الأولى والثانية مقدارها ٤٨١٦٥ طابعا . وتبقى لها من التمر وعلب الكرتون الفارغة التى أعدت لتعبئة التمور والورق مقيمة ٢٨١٥٦ قرشا دارجا » (٢) .

ولعل هذه الأرقام التى أشار اليها التقرير توضح إلى أى مدى ضاعت أموال المشروع ونهبت من جانب بعض المتطوعين والفروع ، فالمبلغ المتبقى لديهم مبلغ كبير ٤٥٥٠٤ قروش وهو يعادل ٦٢٪ من كل حصيلة المشروع . ويبدو أن مجلس الإدارة كان يراوده الأمل — طوال عام كامل منذ أن انتهت أعمال الدورة الثانية — أن يبادر هؤلاء برد مالههم من أموال للمشروع ، ولعل ذلك يفسر تأخر المجلس في تقديم تقريره كل هذه

(١) نفس التقرير السابق .

(٢) نفس التقرير السابق ، والقرش الدارج فى ذلك الوقت كان يعادل ثلث قيمة القرش المصرى .

المدة ، فلما داخله اليأس من امكانية رد هذه المبالغ ، وأن المصيبة اكبر من أن يتداركها المجلس ، اجتمع وأعد تقريره وأعلنه للمواطنين ، وكأنه يريد أن يعلن براءة ساحته مما حدث في حين أنه المسئول الأول والأخير عن الحفاظ على أموال المشروع والعمل على نجاحه .

ومن ناحية أخرى ، فإن مشروع تعبئة التمر الذي استهدفت الجمعية من وراءه تحقيق ربح للمشروع قد ضيع كثيرا من أمواله بلغت جملتها ٢٨١٥٦ قرشا ثلثا لعب فارغة وتمزج ببيعها ولم تسدد قيمته ، إلى جانب بقية من علب التمر التي لم يتم بيعها ، في حين أن الأرباح التي حققها هي مبلغ ٤٠٩١ قرشا وثلاثون بارة فقط (١) . ولم يتضح بعد ذلك هل قام المجلس ببيع هذه الأصناف وضم قيمتها إلى حصيلة المشروع أم أنها ضاعت عليه هي الأخرى .

وفي جانب المصروفات التي صرفها المجلس على الأعمال التأسيسية لمقر الجمعية واعداد المصروفات من طوابع وخلافها ومرتبات أعضاء المكتب الدائم وغيرها . فيوضح التقرير أنها بلغت ٢٣٨٨٨ قرشا وهو مبلغ كبير إذا ما قورن بحجم النشاط الذي بذل وأيضا بالدخل الذي حققه المشروع ، اذ يمثل ٣٢.٤٪ من صافي دخل المشروع (٢) .

فاذا علمنا أن المكتب الدائم لم يمارس عمله الا عدة أشهر تبين لنا مدى الاسراف الذي مارسه المكتب الدائم الذي منح رئيسه كافة الصلاحيات في التصرف في أموال المشروع .

ولما كانت التبرعات أحد موارد المشروع اناليه ، فقد أوضح التقرير أنها بلغت ٦١٠٤٤ قرشا دارجا ، فاذا أضفنا إليها قيمة اشتراكات أعضاء مجلس الادارة التي بلغت ٦٦٠ قرشا . لصارت جملة التبرعات والاشتراكات ٦١٧٠٤ قروش تبلغ نسبتها المئوية ٨٤٪ تقريبا من صافي دخل المشروع . في حين أن ما استطاع المشروع أن يحققه كدخل صافي من خلال عمليات جمع القروش وكافة أوجه النشاط التي مارستها نتيجة بيع الطوابع

(١) نفس التقرير السابق .

(٢) نفس التقرير السابق ، وقد قمت باستخراج النسب المئوية .

وتوزع بطاقات التهانى فى عيد الفطر (١) . ومشروع تعبئة التور بلغ ١٢٠٠٠ قرش فقط ، وهو مالا يتناسب اطلاقا مع الآمال العريضة والجهود التى بذلت فى كل هذه المجالات .

ومن الواضح أن القائمين على المشروع وخاصة المكتب الدائم قد أسرفوا فى وضع الأنظمة واللوائح والتنظيمات الادارية والتنفيذية للجمعية ، فى حين أن كل هذه الأنظمة لم تضع من الضوابط والقواعد القانونية ما يحفظ للمشروع أمواله التى تسربت هنا وهناك ، والتى كان من الممكن — لو تم الحفاظ عليها — أن تساهم مع غيرها الذى تبقى فى تحقيق شىء من الآمال العريضة التى تطلع اليها الناس فى الحجاز .

ومن المثلث للنظر أن مجلس الادارة والمكتب الدائم لم يستفيدا من الأخطاء التى وقعت فى دورة الجمع الأولى ، إذ أن بعض المتطوعين كانوا قد تطاولوا على أموال الجمعية فرجه المكتب الدائم انذاره اليهم فى ١٦ فبراير ١٩٣٧ قائلا « إلى الذين لم يسددوا حسابنا حتى الآن : نأسف حين نذيع أن بين المتطوعين لجمع القرش فى الدورة الماضية من لم يسدد حسابنا حتى الآن ، بالرغم من كثرة رجائنا وتوسلاتنا ، بل وبالرغم من أننا أنذرنا بعضهم بأننا ستخذ ضد تصرفهم السىء اجراءات قانونية ، ونحن نؤكد لهم فى هذه المناسبة أننا سننشر أسماءهم مع أسفنا وسنكتفى بذلك تعويضا لنا فيما خسرناه من قيمة الطوابع ، اذا لم يهب بهم وجدانهم فيبادروا إلى التسديد ، منذ اليوم » (٢) .

ولعل من يتفحص ذلك الانذار يرى مدى التهاون الذى أبداه المكتب الدائم فى أموال الجمعية عندما سيكتفى بنشر أسماء هؤلاء الذين سلبوا أموال المشروع ، فمن المؤكد أن

(١) بلغ صافي ربح بطاقات التهانى ٣٤٩٧ قرشا .

(٢) صوت الحجاز ع ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧ .

هذا التراخي وهذا الاهمال كان ذريعة للكثيرين أن يحذو حذو زملائهم في دورة الجمع الثانية وانتقلت العدوى من بعض المتطوعين الى الفروع الأربعة التي ضاع كثير من أموال الجمعية لديها .

وعلى أية حال فقد قام محمد سرور الصبان رئيس مجلس ادارة الجمعية بانقاذ ما أمكن انتقاذه من أموال المشروع ، إلى جانب المبلغ المودع أمانة لدى بيت زينل بجدة ، وأشتري به أسهما باسم مشروع القرش في الشركة العربية للتوفير والاقتصاد والتي كان هو أيضا رئيس مجلس ادارتها (١) . وفي تقرير مجلس ادارة الشركة المذكورة عن أعمالها في عامي ١٣٦٨ / ١٣٦٩ هـ . تبين أن عدد أسهم مشروع القرش مائة وسبعة وخمسون سهما (٢) . قيمة الأسهم الاسمية من أرباح تلك الأسهم في السنوات التالية .

وفي السنوات الأخيرة تم تصفية حسابات شركة التوفير وردت قيمة أسهمها الى المساهمين مع أرباحها المستحقة ، ومازال مصفى الشركة يبحث عن الاجراءات القانونية التي تمكنه من صرف قيمة أسهم مشروع القرش ولم يتم صرفها ، ومازالت هذه المبالغ حبيسة تبحث عن يوجئها لخدمة البلاد بعد أن تضاعفت قيمتها التي قاربت على المليون ريال (٣) . في الوقت الحالي الذي شهدت فيه البلاد نهضة وتطورا عظيمين .

(١) لقاء مع الأستاذ محمد على مغربي مكتبة حجة بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٨٧ .

(٢) الشركة العربية للتوفير والاقتصاد ، تقرير مجلس الادارة عن أعمال الشركة في عامي ١٣٦٨ هـ و ١٣٦٩ هـ مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ١٣٧٠ هـ ص ١٣ وقد زودني مشكور الأستاذ هاشم زواوي نسخة منه في أثناء لقائي معه بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٨٧ .

(٣) لقاء مع الأستاذ هاشم زواوي بمنزلة بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٨٧ . وقد جرت محاولات عديدة مع الأستاذ عبد الله بنيران مصفى الشركة للاطلاع على الأوراق الخاصة بها لأعرف المبلغ المستحق لمشروع عن وجه التحديد ، ولكنه تردد وسيوف كثيرا .

المصادر

أولا : الوثائق

- نظام جمعية القرش للمشاريع الاقتصادية ، منشور في جريدة أم القرى اعداد ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ بتاريخ ١٠ ، ١٧ ، ٢٤ يوليو ١٩٣٦ .
- بيان تفصل عن مشروع القرش ، صادر عن مجلس ادارة جمعية القرش ، منشور في جريدة صوت الحجاز ع ٢٣٥ بتاريخ أول ديسمبر ١٩٣٦ .
- نظام المكتب الدائم لجمعية القرش . منشور في صوت الحجاز ع ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧ .
- تقرير المكتب الدائم عن أعمال مجلس ادارة جمعية القرش . منشور في صوت الحجاز ع ٢٤٥ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٣٧ .
- تقرير السنة الأولى عن أعمال مجلس ادارة جمعية القرش للمشاريع الاقتصادية . منشور في صوت الحجاز ع ٢٩٤ بتاريخ ٦ فبراير ١٩٣٨ .
- الشركة العربية للتوفير والاقتصاد ، تقرير مجلس الادارة عن اعمال الشركة في عامي ١٣٦٨ / ١٣٦٩ هـ ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ١٣٧٠ هـ .

ثانيا : اللقاءات الشخصية

- تم عقد لقاءات مع بعض المسؤولين عن للمشروع والمعاصرين له وهم كل من :—
- الأستاذ عزيز ضياء .
- الأستاذ هاشم يوسف زواوى .
- الأستاذ محمد على مغرى .

ثالثا : مقالات

محمد عبد المقصود : بحث الأصوات فهل قادتنا سامعون ، صوت الحجاز
١٢ يونيو ١٩٣٣ .

عواطف الشعب نحو المشروع ، صوت الحجاز
١٦ فبراير ١٩٣٧ .

محمد صالح الدباغ : مشروع القرش يحتاج الى صبر وجلد ،
صوت الحجاز ١٦ فبراير ١٩٣٧ .

عزيز ضياء : واجبنا نحو الناشئة ، صوت الحجاز
٢٤ ابريل ١٩٣٣ .

سخفاء ضعفاء ، صوت الحجاز . ٩ مارس ١٩٣٧ م .

رابعا : المراجع

على شلبى : مصر الفتاة ودورها فى السياسة المصرية ١٩٣٣ —

١٩٤١ ، القاهرة دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨٢ .

محمد أحمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ، القاهرة ، مكتبة

سعيد رأفت ، ١٩٧٧ .

محمد على مغربى : أعلام الحجاز ط ٢ . جده . دار العلم للطباعة

والنشر ، ١٤٠٥ / ١٩٨٥ .

خامسا : الدوريات

صوت الحجاز : السنوات من ١٩٣٢ — ١٩٣٨ م .

أم القرى : عامى ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ .

